رسالة إلى علماء السلاطين

جامعة الإعداد والاستشهاد تقدم: مداد العلماء ودماء الشهداء، وحياة الأمة إنما ترتبط بمداد العلماء ودماء الشهداء وما أجمل أن نخط تاريخ الأمة بمداد العالم ودمه فتصبح خارطة التاريخ الإسلامي ملونة بخطين أحدهما أسود وهو ما خطه العالم بمداد قلمه، والثاني أحمر وهو ما خطه الشهيد بنجيعه ودمه، وأجمل من هذا أن يكون الدم واحدا والريثة واحدة فتكون يد العالم التي تبذل المداد وتحرك القلم، هي نفس اليد التي تنزف الدم وتحرك الأمم، وبقدر ما يزداد عدد العلماء الشهداء بقدر ما تنقذ الأجيال من رقادها، وتنقذ من ضياعها وتستفيق من سباتها، فالتاريخ لا يكتب سطوره إلا بالدم، والمجد لا يبنى صرحه إلا بالجماجم، والعزة والرفعة لا يمكن أن تقوم إلا على شلال من الأشلاء والأجساد، والممالك والأمجاد والدول والمجتمعات لا يمكن أن تقام إلا بالنماذج، الشيخ الشهيد عبد الله عزام ، الدماء، الأشلاء، الأجساد، الأرواح، الشهداء هي وقود المعركة، وقود معركة المبادئ، وقود معركة الأفكار، أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ(214) ثمن الدعوات باهض لقول الحق العليم وعلى لسانه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم, ثمن حمل المبادئ وتعلمها من عالم أفكار والنظريات إلى عالم التطبيق والواقعيات، يحتاج إلى كثير من التضحيات حتى يكون واقعا حيا في واقع عالم الأرض، لم تنتصر دعوة إلا بالتضحيات، أرضية كانت أو سماوية بشرية كانت أم ربانية، الدماء الأشلاء الأجساد الأرواح الشهداء هي وقود المعركة، وقود معركة المبادئ، وقود معركة الأفكار، طريق الدعوات محفوف بالمكاره، مليء بالمخاطر، سجون وقتل وتشريد ونفي، فمن أراد أن يحمل مبدءا، أو يبلغ دعوة فليضع في حسابه

هذه، ومن أرادها نزهة ممتعة وكلمة طيبة، ومهرجانا حافلا وخطبة نافعة في كلماتها فليراجع سجل الرسل والدعاة، من أتباعهم منذ أن جاء هذا الدين بل منذ أن بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وإلى يومنا هذا، تظنون المبادئ لعبة أو لهوا أو متاعا يرددها إنسان بخطبة منمقة مرصعة بالألفاظ الجميلة أو يكتب كتابا يطبع في المطابع ويوضع في المكتبات لم يكن هذا أبدا طريقة أصحاب الدعوة، إن الدعوات تأخذ دائما في حسابها أن الجيل الأول الذين يبلغون هؤلاء يكبرون عليهم أربعاً في عداد الشهداء، إن الجيل الأول كله إنما يذهب وقودا للتبليغ وزادا لإيصال الكلمات التي لا تحي إلا بالقلوب وبالدماء، إن كلماتنا ستبقى ميَّتة أعراسا من الشموع لا حراك فيها جانبا، حتى إذا متنا من أجلها انتهضت حية وعاشت بين الأحياء، كل كلمة عاشت كانت قد اقتاتت قلب إنسان حي فعاشت بين الأحياء، والأحياء لا يتبنون الأموات، لا يقبلون إلا الأحياء، والميت يدفن تحت الأرض وإن كان أعز فرد من بين أظهرهم، كم ضح الشيوعيون أنفسهم من أجل أن يقوموا بثورتهم الحمراء كم سجن ونفي لنين، نحن الآن نعجب من الديمقراطية الغربية، كيف أن القانون الغربي هناك يخضع له كل الناس أجمعين، وتستطيع أن تحاكم رئيس الجمهورية أمام المحكمة وتحسه وتأخذ منه، والقانون والقاضي لا يخضع لأحد، وحسبك ينكسن رئيس أكبر دولة في الأرض عندما أراد الحزب الآخر أن يرفع عليه دعوة أنه كان يتجسس عليهم أثناء الانتخابات قبل سنوات، استقال ينكسن واختفى وراء مسرح التاريخ، خوفا من أن يقع تحت طائلة القانون، أتظنون هذا جاء عبثا؟ أتظنون أن هذا جاء مصادفة؟ لم يصلوا إليه إلا على دماء وجماجم المفكرين, لقد قتل ثلاثة مئة ألف على يد محاكم التفتيش، أحرق منهم ثلاثون ألفاً أحياء، وهم يريدون أن يخرجوا الإنسان الغربي من قبضة الكنيسة الجبارة، يحذروها من قيدها القوي المتين، الإفساد في

الأرض معظمه وبدايته ومنبعه من حب التسلط في الأرض من حب العلوم من حب الكبر والظهور، وهذا يبدء من أدني المستويات إلى أعلى المستويات؛ حيث يتكون هناك عقدة الأثام ومنبع الشرور ومستنقع الفتن، وكما قال كما قال ابن مسعود أو حذيفة رضي الله عنهم: إن على أبواب السلاطين فتنا كمبارك الإبل، وكانوا يحذرون يحذرون من الورود على السلطان، إن لم تكن في نفسك أن تنصح وتزجر، وإن لم يكن في نفسك الترفع عن دنياهم، لا بد من هذين الشرطين، إذا أردت ورود أبوابهم والولوج عليهم فلا بد لك من قضيتين: الترفع عن أموالهم وعن أعطياتهم لأن كلامك يسكت في اللحظة التي يسقط فيها الدرهم من يد سلطان إلى يدك، وكما قال الشيخ سعيد الحلبي رحمه الله، وقد جاء إبراهيم باشا إلى بلاد الشام وكان الشيخ سعيد حوله مجموعة من تلاميذه يعلمهم، ودخل إبراهيم باشا المسجد وبقي الشيخ سعيد مادا رجله، ودخل وخرج إبراهيم وهو يكتاظ غيظه ويغلي من الغضب وأخذ سره التي طالما لويت لها الأعناق وعنت لها الجباه، هذه الصرر التي يصر فيها دين الله ويخبَّؤ، وأعطى الرقم إلى أحد حجابه وقال: ألقها في حجر الشيخ، فجاء وألقاها في حجر الشيخ سعيد فرفع الشيخ سعيد في يده، وناولها للحاجب، وقال: قل لسيدك: إن الذي يمد رجله لا يمد يده، قل لسيدك: الذي يمد رجله لا يمد يده وهم ينظرون إلى الناس الذين يأخذون من أموالهم لشهواتهم ونزواتهم وإرضائهم ومهادنتهم على باطلهم والسكوت على ظلمهم ينظرون إليهم كالدواب التي تجمعها حزمة برسيم وتفرقها صيحة من صيحات فرقهم.دخل المنصور على سفيان الثوري وقال، له يا سفيان ما حاجتك؟ قال هل تعطيني إياها؟ قال نعم، قال لا تأتيني حتى أرسل إليك، ولا ترسل إلىَّ حتى، فقال المنصور: وهو يلم أجواله عائدا كل الطيور علفناها فالتقطت إلا سفيان، إنهم طيور، إنهم ينظرون حتى إلى العلماء أنهم دجاج مزارع، يربونهم على

طعامهم ويذبحونهم متى شاؤوا على أقدام شهواتهم، وعلى مذابح نزواتهم، ولقد عرف السلف هذا، عرفوا هذا تماما، وأدركوه من أعماق قلوبهم، ويوم أن وقف سلمان بن عبد الملك على أبي حازم سلمة بن دينار، قال يا أبا حازم ما بالك لا تأتينا، قال أعاذك الله من الكذب يا أمير المؤمنين من متى أعرفك حتى أزورك، كنا، قال لا يا أبا حازم ما بالنا نكره الموت ونحب الحياة؟ قال لأنكم أخربتم أخراكم وأعمرتم دنياكم، فتكرهون الانتقال من العمار إلى الخراب، فمد أحد الحجبة يده على سيفه على مقرب سيفه، قال: دعني أضرب عنقه يا أمير المؤمنين، فلقد ما لممت فصاح به أبو حازم اسكت إنما أهلك فرعون هامان، فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين، قال القرطبي: هذه حجة على الذين يجيزون لأنفسهم الدخول للسلاطين دون تفكير ودون أمر بمعروف ونهي عن المنكر، إنما الدخول للذكرى، وبعد الذكرى فلا تقعد، فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين. ولقد ظل الذين أوتوا العلم، ظل الذين يذكرون في هذه المواقف، ظل الذين لا يبيعون دينهم بثمن العنز، لقد ضلوا وضحوا حتى أصبحت طريق الحق مكفرة، إلا من الأنس بالرحمن، وببعض الخلان الذين عاهدوا ربهم على السير على هذا الطريق، مع قلة السالكين وتجنبوا طريق العامة والغوغاء، أصحاب النزوات والشهوات، مع كثرة الهالكين.

ياأيها الإخوة هذه الصحوة جعلت بعض الناس يدعون الألوهية في الأرض، وهؤلاء الناس الذين يتسلطون على رقاب الناس، يصل بهم الأمر من خلال نفخ إعلامي الذي لا ينوي .. وليل نهار أن يبرز الصور ويظهر الظلم، ويبين المساوئ حسناً، لا زالوا ينفخون بهذا القدم الصغير، حتى يجعلوا منه عملاقا، ليحُل محل الإله في الأرض، ولايمكن أن يطاع أحد إلا بعد أن ينفخ نفخا، يشعرُ الناس أنه الرجل الذي يُلْهَمُ وإذا خطب خطابه في تلفاز أومن خلال مذياع، وقد كتب له أو هو قال كلمات قبل أن يعلم ماذا قال؟ تبدأ

الصحف تحلل الخطاب التاريخي المشهور أتى بها متتالية ماذا احتوى من الحكم وماذا ضم من الفوائد، وما ذا خطط للأمة في مستقبلها، والله يعلم إن الرئيس برئ من معرفة هذا، عندما قال هذا برئ حتى الآن من معرفة هذا، حتى بعد التحليلات التي يحللها، الذين يبيعون دين الناس بدنياهم، بل بدنيا غيرهم، قد سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله، سئل من الملوك؟ قال الزهاد، قالوا من السفلة؟ قال الذين يأكلون بدينهم، قالوا من سفلة السفلة؟ قال الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم، يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم.
أقول أيها الإخوة وليست القضية قضية السلطان الأكبر، وإن كان يصل به الأمر أن يقول: أليس لي ملك مصر؟ وهذه الأنهار تجري من تحتي، أفلا تبصرون؟ أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ـ موسى عليه السلام ـ الذي هو مهين ولا يكاد يبين، فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين، فاستخف قومه فأطاعوه، إنهم كانوا قوما فاسقين."
ولا يمكن أن يطاع الرئيس إلا بخدمة الشعب وقسطهم، لا يمكن أن يعتلي هؤلاء على أكتاف البشر ويقعدون على حناجرهم، يذبحون الشعوب على أقدام نزواتهم، وعلى مذابح شهواتهم، إلا بأعمدة من أهل الباطل، وهذه الأعمدة ما أكثرها التي تسند الخشب ترى إي كما قال الله عز وجل: كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم، فإذا رأى ملتحيا في الطريق جاء إليهم الحاشية التي تلعق الصناجر و .. الصحن ، مقابل بيع دين الله جاءوا إليهم لقد كثر المتدينون انظروا إن هؤلاء خطر عليكم، إن هؤلاء سيفعلون بكم انتبهوا لقد كثرت الجلابيب انتبهوا استمعوا خططوا اعملوا خطة لمكافحة التطرف الديني لمكافحة التزمت لمكافحة التقوقع ربوا جيلا جيلا لينا دينه .. يمطوا على أهوائكم ويتسع على شهواتكم وهاتوا هاتوا لكم علماء يفتونكم كما يريدون ويفتنونكم ، وبالنار أنتم وهم

تلقون، نعوذ بالله من الفتنة " ولولا ينهاهم الربانيون عن بقولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون، وكم ذبح من العلماء وكم طرد من المفكرين بفتوى من شيوخ بل أكبر شيوخ الأرض وما أعدم سيد قطب إلا بفتوى من شيخ الأزهر بعد كتب الآية : إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف " وما قتل عبد القادر عودي ومحمد سرهري.. ويوسف طلعت وإبراهيم الطيب، وغيرهم إلا بفتوى من شيخ الإسلام، لقد .. الجحيم ببيع الجنة فأقالوه وقد كان شيخ ال.. الإخوان المسلمين معروف في الشرق، إنهم خارجون لا تقبل لهم توبة، إنهم خارجون مقبول، ولكن لا تقبل لهم توبة، من أجل دين جاء به، "إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم " ، وقال هؤلاء لم يتوبوا إلا بعد القبض عليهم، وبعد إلقائهم السجن، إلقائهم السجن وهم رهن القيود فلا تقبل لهم التوبة، وأعدم عبد القادر عودي، بهذه الفتوى مع إخوانه، بفتوى شيخ الأزهر، في كانون الأول سنة 1954م. وعلى الأعواد عناق إليها الحور تشتاق
تغني غنية التاق لمصرعها ...
على الأعواد فرسان هم بالليل رهبان
وملء الليل قرآن إذا هتفوا به لانوا
فدمع العين رقراق بقوا إن
ذكر الذل وداسوا جندها قتلى
وكم أبلى كتائبها فما أبلى دما في الله يراق. وقد روي عن الإمام النووي رحمه الله أنه عاش في الشام معظم حياته هو من النوى في إيران ثم دخل الشام وأصبح عالما بل أصبح محي الدين محي الدين النووي، بل لعله لم يمر في تاريخ الفقه الإسلامي رجلا أفقه من النووي ولا أعمق منه في فقهه، وكما قال ابن كثير عن كتابه المجموعة في الحدث لم يصنف على غراره قط، لم يصنف مثله قط،

وفعلا وقد اطلعت عليه فلم أر مصنفا ثمة مثله قط، أقول عاش النووي في الشام فمكث معظم حياته فيها، ولم يأكل من ثمارها، وعندما كانوا يسألونه: لماذا لا تأكل من ثمار الشام؟ قال هناك بساتين موقوفة ضاعت فأخشى أن آكل من ثمار تلك البساتين، فمن هنا كان كانت قيودهم قيود الأسود ونفوسهم نفوس رهبان في الليل فرسان في النهار، لا يقفون أمام حاجز وتخطون العقبات، مهما علت ومهما شقت وارتفعت، قال الظاهر بيبرس عندما غزا التتار بلاد الشام أريد منكم أيها العلماء فتوى أن أجمع المال لنشتري السلاح لمواجهة هجمات التتار فأفتاه العلماء جميعا، إلا محي الدين النووي، قال أين توقيع النووي؟ قالوا لقد رفض أن يوقع، فأرسل إليه قال مابالك تمنعني أجمع مالا لنسد الحملات حملات هؤلاء الكفار عن المسلمين، قال لقد زرتنا عبدا مملوكا لا تملك شيئا وأنا أرى لك اليوم الغلمان والقصور والجواري والذهبان والضياع والبساتين، فإن بعت هذا كله وبعد ذلك احتجت لتضيف جيش المسلمين فإني أفتيك بذلك قال النووي: قال الظاهر: اخرج من الشام، فخرج من الشام وقعد في بيته الأصلي في نوى، وذهب العلماء إلى الظاهر غاضبين مزمجرين لا طاقة لنا في الحياة بدون النووي، قال الظاهر أرجعوه إلى الشام، فذهبوا إلى نوى ليرجعوا النووي، قال والله لا أدخلها والظاهر فيها، لا أدخلها والظاهر فيها، وبرَّ الله بقسمه، ومات الظاهر بعد الشهر، ورجع النووي إلى الشام، وكان النووي أستاذا في دار الحديث في الشام، وبعد مدة سبعين عاما تقريبا جاء السبكي والسبكي وصل درجة الاجتهاد في مذهب شافعي، وكان السبكي رحمه الله يردد بيتين من الشعر يقول:

وفي دار الحديث لطيف معنى على .. لها أصبو وآلو
لعلي أن أنال بخر وجهي مكانا داسه قدم نواوي

التوحيد لا يمكن أن يفهم من خلال قراءة الكتب، إنما يفهم من خلال قراءة الأحداث، ومن خلال مواجهة الابتلاء والمحن، كل من عاش بعيدا عن الابتلاء والمحن لا يمكن أن يدرك دين الله ولا يمكن أن يكون أمينا على شريعة الله فيما لو وضعت بين يديه من الإتباع، ولذا رأينا أن الحكومات تستعين كثيرا بحفظة النصوص والمتون والحواشي لتكفير أبناء الدعوة الإسلامية إذا أراد تعليقهم على الأعواد، أو نصبهم على المساند، لماذا؟ هؤلاء العلماء يحفظون أضعاف أضعاف ما يحفظها هؤلاء الدعاة، ويحفظون من الفقه والعلوم الشرعية أضعاف أضعاف ما يحفظها هؤلاء، ولكن التوحيد قد استقر في قلب الداعية من خلال المواجهة والإحداث، وهذا لم يقرأ التوحيد والنصوص والفقه إلا من خلال الأوراق والصفحات والكلمات، نعما نجد سيد قطب رحمه الله وهو يساق إلى المشنقة يتقدم إليه عالم أزهري .. الإعدام أن يشهد ..يلقن كلمة التوحيد لمن يسلم فتقدم إليه شيخ وقال يا سيد، قال نعم، قال: قل أشهد أن لا إله إلا الله، قال حتى أنت .. مسرحية نحن نعدم لأننا نقول لا إله إلا الله، وأنتم تأكلون خبزا بـ لا إله إلا الله، وشتان شتان بين الذين يأكلون الخبز بـ لا إله إلا الله، وبين الذين يعدمون ويخنقون بـ لا إله إلا الله ، إذا هنالك فرق كبير بين التوحيد النظري وبين التوحيد الواقعي العملي، الذي يهز أركان الطغاة، وقوائم عروشهم، ويزلزل الأرض من تحتهم، وبين أناس مسخرين لإصدار الفتاوى عن .. مسبوقة، على جوانبهم كلما أراد هذا الطاغية أن ينكل بالحركة الإسلامية أو يسمعها.

وهؤلاء العلماء من أكبر إدعاء التي يعتمد عليها الحكم الظالم، ...زوسط القبائل التي مر عليهاهذا الدين، دائما الحاكم يحرص أن يكون حوله مجموعة من العلماء، وبشكل الإسلام وكل عالم معه.....معنى ذلك إذا أراد الحاكم أن يتبنى الاشتراكية يأتي العلماء وفي.. شيخ

الأزهر كل صباح ليتكلم عن الاشتراكية والحياة، وأن يتكلم العالم الآخر أن الاشتراكية دين الله، ويتكلم الثالث عن أن الاشتراكية، الاشتراكيون أنت إمامهم عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اشتراكي، والرابع ..... وأبوذر سيد الاشتراكيين نعم هذه الفتاوى كانت تصدر من العلماء، وتدون، ويفقه بها الشعب المسلم في كل أنحاء العالم، وإذا غير الحاكم الاشتراكي نفس .... ونفس الظروف، ما كان عبد الناصر .. كانت الاشتراكية دين الله، فجاء أنور السادات وألغى الاشتراكية وأصبحت الاشتراكية كفرا وخروجا عن دين الله، نفس .. نفس البلد إذ قابل ونفس الفتوى الأزهر، وإذا أراد وخاصة أروبا.. من الشعب المصري أن يتخاصم، ويصبح عدوه كبيرا، فيقضي على .. هذا بسهولة، إذاً لا بد من... فترسل آلاف الأصنام المصنوعة من .. إلى .. وتوزع على الأسر مجانا، ولا بد من فتوى من المشايخ تثبت أن عمل الدولة هو الحق، أو من دين... فيأتي الشيخ على التلفاز يفتي، قال: كنا نعزل والقرآن ينـزل، ولو كان شيئا نهانا عن القرآن... فمن هذا نحن نعرف سبيل الله عز وجل، حديث صحيح عن جابر رضي الله عنه، فلا بأس من تحديد النسل، ولا بأس من تنظيم النسل، ولولي الأمر أن يتخذ سياسات تدبيرية.... إصلاحية من أجل منفعة المجمتع وخدمته، لا بد من مشايخ السوء، وإذا أرادت الدولة أن تستورد لحما من بلغاريا ورومانيا، والدول الشيوعية، وذبائح ميتة ميتة لا يجوز أكلها كلحم الخنزير والكلب، لا يجوز، لا بد من عالم: طمئنوا وكلوا؛ فالأصل في الأشياء الإباحة، ولا بأس أن يأكل الشعب كله ميتة حراما، من أجل أن يأكل... من الرئيس، أوهم يأكلون لحما حراما، ميتة من أجل أن يرضي الرئيس،: " فانسلخ منها فأتبعه الشيطان ..." لا ينقطع لهاثهم أبدا على الدنيا، الكلب مستريح أو تعبان دائما يلهث يهرب، كذلك لهاثهم لا ينقطع وراء مصالحهم، وراء دنياهم، نعم: في الوقت الذي كان

أيام عبد الناصر بدماء الدعاة كان العلماء يكسبون له، فتوكل على الله، إنك على الحق المبين، ..... في الأزهر....، وتحتها هذه الأزامل فتوكل على الله، أنك على الحق المبين، وهذا العالم هذا مصيبة على الأمة.. لأنه لم يترب على العمل، هو درس من أجل الشهادة، أنتم ماذا تريدون؟ ما ذا تريدون.